على وجه الماء قال البغوي يقال انها مسيرة خمسمائة سنة في مثلها ودحيت من تحت
الكعبة فان قيل فهل يدل ذلك على انها بسيط او كرة عظيمة على ما يقول ارباب
الهيئة اجيب بان ليس في الاية دلالة على شيء من ذلك لان الارض على تقدير كونها
كرة فهي في غاية العظمة والكرة العظيمة ترى كالسطح المستوي وتقدم الكلام
على ذلك في سورة البقرة وسياتي زيادة على ذلك ان شاء الله تعالى في سورة
النازعات النوع الثاني قوله تعالى والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت واحدها راس
والجمع راسية وجمع الجمع رواسي وهو كقوله تعالى والقى في الارض رواسي
ان تميد بكم قال ابن عباس لما بسط الله تعالى الارض على الماء مالت باهلها
كالسفينة فارساها الله تعالى بالجبال الثقال لكيلا تميل باهلها وقيل
ان الله تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق الارض ونواحيها لانها
كالاعلام فلا يميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال
النوع الثالث قوله تعالى وانبتنا فيها واختلف في عود الضمير فيها فقيل
يعود الى الارض لان انواع النبات المنتفع به يكون في الارض وقيل الى
الجبال لانها اقرب مذكور ولقوله تعالى من كل شيء موزون وانما يوزن
ما يتولد من الجبال والاولى عوده لهما واختلفوا في المراد بالموزون فقال
ابن عباس اي معلوم وقال مجاهد اي مقدار معين تقتضيه حكمته
وقال الحسن اعني به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص
والحديد ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن والاولى انه جميع ما ينبت في
الارض والجبال لان ذلك نوعان احدهما يستخرج من المعادن وجميع ذلك
موزون والثاني النبات فبعضه موزون وبعضه بالكيل وهو يرجع الى الوزن
لان الصاع والمد مقدران بالوزن وجعلنا لكم فيها اي انعاما منا وتفضلا
عليكم معايش وهي بياء صريحة من غير مد جمع معيشة وهو ما يعيش
به الانسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والملابس والمعادن وغيرها
وجعلنا لكم من لستم له برازقين من العبيد والانعام والدواب
والطير فانكم تنتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله
تعالى وبعض الجهال يظنون في اكثر الامر انهم هم الذين يرزقون العيال والخدم
والعبيد وذلك خطا فان الله هو الرزاق يرزق المخدوم والخادم والمملوك والمالك
لانه تعالى خلق الاطعمة والاشربة واعطى القوة الغاذية والهاضمة والا لم يحصل
لاحد رزق فان قيل صيغة من مختصة بمن يعقل اجيب بانه تعالى اثبت لجميع
الدواب رزقا على الله تعالى حيث قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
ويعلم مستقرها ومستودعها فغلب من يعقل على غيره وحكي ان الماء قد قل
في بعض الاودية والجبال واشتد الحر قال بعضهم رايت بعض ذلك الوحش
رفعت روسها الى السماء عند اشتداد عطشها قال فرايت الغيوم قد اقبلت

وامطرت

١٠٥

وامطرت وامتلات الاودية تنبيه قيل لا يجوز ان يكون ومن لستم له برازقين مجرورا
عطفا على الضمير المجرور لا يقال اخذت منك وزيد الا باعادة الخافض كما في قوله
تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح والراجح الجواز كما قرئ قوله تعالى
تساءلون به والارحام بالخفض في القراءات السبع وهذا اعظم دليل ولما بين سبحانه
وتعالى انه انبت لهم كل شيء موزون وجعل لهم معايش اشعر بذكر ما هو السبب لذلك
فقال تعالى وان اي وما من شيء اي مما ذكر وغيره من الاشياء الممكنة وهي
لا نهاية لها الا عندنا خزائنه اي قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف
ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وروي
جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال في العرش تمثال ما خلق الله في البحر والبر
والخزائن جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه للحفظ وقيل اراد مفاتيح
الخزائن وقيل المطر لانه سبب الارزاق لبني ادم والوحش والطير والدواب
ومعنى عندنا اي في حكمنا وتصرفنا وامرنا وتدبيرنا وما ننزله من بقاع
القدرة الا بقدر معلوم اي بحسب المصالح وقيل ان لكل ارض حدا ومقدارا
من المطر يقال لا ينزل من السماء قطرة مطر الا ومعها ملك يسوقها
الى حيث يشاء الله ولما تمم ما اراد من ايتي السماء والارض وختمه بشمول
قدرته لكل شيء اتبعه ما ينشا عنهما مما هو بينهما مودعا في خزائن قدرته
بقوله تعالى وارسلنا الرياح جمع ريح وهو جسم لطيف منبث في الجو سريع
المر لواقح اي حوامل لانها تحمل الماء الى السحاب فهي لاقحة يقال ناقة لاقحة
اذا حملت الولد وقال ابن مسعود يرسل الله تعالى الريح فتحمل الماء فتمج
في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر وقال عبيد بن عمير يبعث
الله تعالى الريح المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب
بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر وعن ابن عباس
قال ما هبت ريح قط الا جثى النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال
اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها ريحا وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسالك
خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها
وشر ما ارسلت به وقرا حمزة بالافراد والباقون بالجمع فانزلنا اي بعظمتنا
بسبب تلك السحاب التي حملتها الريح من السماء اي الحقيقية او جهتها او السحاب
لان الاسباب المترافية تسند الشيء تارة الى القريب منها وتارة الى
البعيد ماء وهو جسم مايع سيال به حياة كل حيوان من شانه الاغتذاء
فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا يقال سقيته ما يشربه واسقيته
اي مكنته منه ليسقي ماشيته ومن يريد ونفى سبحانه وتعالى عن
غيره ما اثبته اولا لنفسه بقوله وما انتم له اي لذلك الماء بخازنين

Copyright King Saud University